الأدب الإسلامي بين الاعتبار والإنكار – دراسة في المفهوم والخصائص والموضوعات والنشأة –

Islamic Literature Among Considerations and Denials - Study in Concept, Characteristics, Subjects and Upbringing -

توفيق جعمات*

جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)،

مخبر اللسانيات التقابلية وتعليمية اللغات

djamatetoufik@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٠١/٠٢ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٠٥/٢٧ النشر ٢٠٢٤/٠١/٢٢

ملخص:

يسعى المقال إلى تسليط الضوء على الأدب الإسلامي مصطلحا ومفهوما، كما تهدف إلى إبراز نقاط التلاقي والاختلاف ومناطق التداخل بين الأدب العربي والأدب الإسلامي، لتصل بعد ذلك إلى الخصائص التي انفرد بها الأدب الإسلامي، وبعد هذه المقدمة التي اقتضتها المنهجية تعرض المقال إلى ذكر بعض الجهود الرامية إلى ترسيخ قدم الأدب الإسلامي في أروقة الآداب والفنون من خلال محاولات التأسيس النظري وما أنتجته من إبداع في الشعر والقصة والرواية والمسرح.

الكلمات المفتاحية: أدب إسلامي؛ أدب عربي؛ مراحل؛ نظرية؛ إبداع.

Abstract :

The article seeks to shed light on Islamic literature as a term and concept, and aims to highlight the points of convergence and difference and areas of overlap between Arabic literature and Islamic literature, and then to reach the characteristics that are unique to Islamic literature. after this introduction, which was necessitated by the methodology, and it mentiontioned some efforts aimed at consolidating Islamic literature in the corridors of literature and the arts through the attempts of theoretical foundation and the resulting creativity in poetry, story, novel and theater.

Key Words: Islamic literature; Arabic Literature; Stages; Theory; Creativity.

*المؤلف المرسل

المقدمة:

غداة انتخاب الشيخ أبي الحسن النّدوي عضوا مراسلا في المجمع العلمي بدمشق بعث مقالا إلى المجمع يدعو فيه إلى إثراء دراسة الأدب العربي بنصوص لم تنتبه إليها كتب التأريخ الأدبي وأهملتها كتب المنتخبات الأدبية، وقد وردت هذه النصوص في المصادر الإسلامية، خاصة في كتب الحديث والسنة النبوية الشريفة، وقد لقي هذا الاقتراح ترحيبا مجمعيا واسعا وأشاد به كثير من الأدباء، وكان هذا المقال وما احتف به من هالات الاستحسان، نقطة الانطلاق في مسيرة الأدب الإسلامي ممثلا في الإبداعات الفنية على مستوى الشعر والقصة والرواية من المنظور الإسلامي.

♦ **الإشكالية:** ظهور الأعمال الفنية في مختلف تجلياتها وما تلاها من محاولات للتّأسيس النّظري ولد جدلا علميا بين المشتغلين بالأدب المعاصر، وأدى إلى طرح الإشكالية التالية: ما الدّاعي إلى تمييز هذه الأعمال الفنية في الشعر والقصة والرواية بهذا المصطلح المبتدع "الأدب الإسلامي"؟ وهل يختلف فعلا عن الأدب العربي الذي نعرفه ؟

♦ **الفرضيات:** لمعالجة الإشكالية المطروحة نقترح الفرضيات التالية:

- مصطلح الأدب الإسلامي ليس مصطلحا مبتدعا تماما، فهناك مصطلحات مماثلة في تراثنا العربي الأدبي والعلمي.
- الأدب الإسلامي يتميز بخصائص وأغراض تجعله يحظى بمساحة خاصة على جدارية الأدب العربي.
- الأدب الإسلامي، تجاوز الممارسة التطبيقية إلى التنظير.
- يصعب رصد الأعمال الأدبية المختلفة المنتمية للأدب الإسلامي نظرا لكثرتها وتنوعها، وسنقوم بمقاربة فاحصة لهذه الفرضيات في ضوء واقعنا الأدبي المعاصر.

♦ وأهدافنا من خلال هذا المقال:

١- التأصيل للأدب الإسلامي.

٢- ذكر خصائص الأدب الإسلامي

٣- موضوعاته وأغراضه.

I. الأدب الإسلامي، جدل المفهوم والمصطلح:

نقدم في الجزء الأول من هذه المداخلة مفهوم الأدب الإسلامي عند الداعين إليه، فننتخب مجموعة من أهم التعاريف المؤسسة لهذا المفهوم ونتبعها بذكر بعض الاعتراضات التي أثار غبارها المناهضون لفكرة الأدب الإسلامي ونجيب عليها.

عرّف سيد قطب الأدب بقوله: "الأدب كسائر الفنون تعبير موح عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان، وهذه القيم تختلف من نفس إلى نفس، ومن بيئة إلى بيئة، ومن عصر إلى عصر، ولكنها في كل حال تنبثق من تصور معين

للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والكون وبين بعض الإنسان وبعض. (**قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، ١٩٨٣، صفحة ١١**).

وبعد صفحات يقوم سيد قطب بإسقاط هذا التعريف التجريدي على الواقع الإسلامي فيقول: "... المهم أن نقرر هنا أن نقرر أن الأدب أو الفن الإسلامي أدب أو فن موجه بطبيعة التصور الإسلامي للحياة وارتباطات الكائن البشري فيها، وموجّه بطبيعة الفكرة الإسلامية ذاتها، وهي حركية دافعة للانتشار والإبداع والترقي والارتفاع". (**قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، ١٩٨٣، صفحة ١٨**).

وانطلاقا من هذا الأساس الذي خطه سيد قطب، وجعله معلما للأدب الإسلامي انطلق كثيرون ينسجون على منواله يفصلون ما أجمل ويفرعون ما اختصر، وإن لم يبتعدوا عن الأساس الذي رسمه، ومنهم الأستاذ محمد قطب، الذي عرّف الفن الإسلامي – والأدب أحد الفنون – "بأنه الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود، وهو التعبير الجميل عن الكون والإنسان والحياة، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، وهو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمّة التي تلتقي فيها كل حقائق الوجود.

وفي هذا التعريف لا يزال المفهوم يحتاج إلى بسط وتوضيح لانضواء الأدب الإسلامي في مسمى الفن وقد ركز كأخيه على ضرورة صدور هذا الأدب عن تصور وفكرة اسلامية.

وعرف الأستاذ نجيب الكيلاني الأدب الإسلامي بأنه "تعبير فني جميل نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والكون والإنسان، وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما". (**الكيلاني، ١٤٠٧، صفحة ٣٦**).

وقدم مؤلفو كتاب "الأدب الإسلامي المفهوم والقضية" تعريفا له بأنه: "التجربة الشعورية التي تنبع من الوجدان والخواطر المفعمة بالقيم الإسلامية، في بناء يعتمد على وسائل التأثير والإقناع، من الألفاظ الفصيحة والأسلوب البليغ، والنظم الدقيق، والتصوير المحكم بالخيال والعقل معا، والاتساق في الإيقاع المتدفق بأشكاله المتعددة، سواء أكان وزنا وإيقاعا في الشعر، أو نموا وتطورا في الأحداث كالقصة والأقصوصة، أو قصرا في العبارات والجمل، كأنواع المقالة الأدبية". (**صبح و خفاجي، ١٩٩٢، صفحة ٢٠**).

وينزع أصحاب هذا التعريف إلى بيان غائية الأدب الإسلامي ومقصديته، فليس هدفه مقتصرا على الامتاع فقط، بل يتعداه إلى اشتماله على مضمون أو رسالة يؤثر بهما في الناس والواقع من حوله، كما يشيرون من خلال أمثلة الأنواع الأدبية التي ذكروها إلى استيعاب الأدب الإسلامي لكل الأنواع الأدبية دون اقتصار على ما ذكر، واستعمالهم عبارتي "ألفاظ فصيحة" و"أسلوب بليغ" يستبعد كل ما هو غير فصيح كالأدب الشعبي مثلا.

وكأني بأصحاب هذه التعاريف يستبقون من خلال صياغتهم اللغوية ما يمكن أن يكون محل شبهة أو اعتراض من المناهضين للأدب الإسلامي، الذين يركزون على بعض المسائل منها أن مواضيع هذا الأدب منتزعة من المنظومة الفكرية والمذهبية الإسلامية، ومقيدة بالتصور العقدي الإسلامي، وهو ما يسقطها في الوعظية والمباشرة والتقريرية، فضلا على أنه يحدّ من حريّة الأديب، وهذا سوء تصور لطبيعة الأدب الإسلامي ومنظرو هذا الأدب –هم أنفسهم– يرفضون الأسلوب الوعظي المباشر في مجال الأدب والفن والإبداع، يقول سيد قطب: "وليست الوعظية هي سبيل الأدب والفن، المنبثق من التصور الإسلامي، فهذه وسيلة بدائية وليست عملا فنيا بطبيعة الحال". (**قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، ١٩٨٣، صفحة ٢٠**).

ولنتأمل قطعة فنية يقيِّم فيها سيد قطب ديوان أستاذه عباس محمود العقاد "أعاصير مغرب" نستشف من خلالها نظرته للشعر وهو أحد منظري الأدب الإسلامي، يقول: "ولعل سؤالا يطوف بالأذهان ما حدود هذا الشعر إذن في تعريفك؟ وجوابي أن الشعر لا يحدده الموضوع الذي يقال فيه، ولكن تحدده درجة الشعور بهذا الموضوع، وطريقة التعبير عن هذا الشعور، فأيّما إحساس استجاش النفس ورفع نبضها عن النبض العادي اليومي، وجعلها تحس بالوهج أو الانطلاق أو الرفرفة أو السبح في عوالم مجهولة، وخلّصها ولو لحظة من الوعي الكامل والصحو المتيقظ، فهو إحساس شعري، فإذا توافر للتعبير عن هذا الإحساس أداء مصور للحالة النفسية التي صاحبته، والظلال الشعورية التي واكبته في النفس، واشترك الإيقاع في هذا الشعور متّسقا مع الجو الذي عاش فيه هذا الشعور...فذلك هو الشعر". (**قطب، كتب وشخصيات، ١٩٨٣، صفحة ٨٤**).

وقد صدّر مقاله النقدي واصفا العقاد قائلا: "وفي وضح النهار يعيش العقاد صاحي الحس واعي الذهن حي الطبع، لا يهوم إلا نادرا ولا يتوه فيما وراء الوعي أبدا". (**قطب، كتب وشخصيات، ١٩٨٣، صفحة ٨٤**).

وقال عن بعض لفتات العقاد الشجية التي بلغ بها أوج الشاعرية: "ولقد هممت أن أجمعها وأسميها "الشعر في ديوان العقاد" ... وأنقل التأملات التجريدية والقضايا المنطقية والحقائق التعليمية، إلى مكانها في كتب النثر أيضا فإني أحسب أن هذه وتلك في دواوين الشعر مما يصدّ الكثيرين عن تذوّق شعر العقاد". (**قطب، كتب وشخصيات، ١٩٨٣، صفحة ٨٩**).

وهذا تبين – تطبيقيا– رأي سيد قطب في مسألة التعبير الفني الرافض للتقريرية، بل حتى للاستغراق العقلي في الشعر، وما قوله بدعا من أقوال رواد الأدب الإسلامي، فهذا وليد قصاب يؤكد أيضا "أن الأدب الإسلامي على أهمية المضمون فيه يرفض جعل العمل الأدبي شعارا أو بيانا دينيا أو خطبة عادية أو موعظة فجة، وهو إذا كان يؤكد على أهمية الفكر والقيم والخبرة، فإنه لا يقبل أن تُقدّم ساذجة مباشرة، بل لابد أن تقدم بأسلوب فني حتى تكون أدبا". (**قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، ٢٠٠٠، صفحة ٨٠**)

فالمضمون لا يصنع عملا فنيا مهما سما دون تدخل يد الفنان المبدعة، التي تحيل الفكر والقيم إلى أدب رفيع، والشكل والمضمون ثنائية لابد من مراعاتها في إنجاز أي نوع من الأعمال الفنية الأدبية الإسلامية وأي أدب يُتشبّثُ فيه بأحد ركني هذه الثنائية ويَزْورُّ فيه عن الآخر لا ينتمي إلى الأدب الإسلامي، وإن ادّعى منتجه ما ادّعى، لأنهما ركنان لازمان وإقصائيان، ونظرية النقد الإسلامي –كما يقول وليد قصاب – تقوم على أدبية الأدب وشعرية الشعر، كما تركز كذلك على وظيفته ودوره والقيم الفكرية التي يروِّج لها". (**قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، ٢٠٠٠، صفحة ن**).

وبناء على ما قيل فإن الأدب الإسلامي يقف على طرفي نقيض مع دعاة "البرناسية" أو دعاة الفن للفن الذين يعتبرون الفن إبداعا تعبيريا فحسب، أو هو: فن كيفية القول، ولا علاقة له بأي مضمون، ولا حتى أن يعكس الفنان شعوره الذاتي، ومعظم النقاد المنتمين إلى هذا المذهب يزعمون أن المعايير الأخلاقية والدينية والفلسفية غير ذات معنى تجاه قيمة العمل الفني، فالأديب – حسب رأيهم– عليه التحرّر من أي قيمة يمكن أن يحتويها الأدب... إلا قيمة الجمال، فمهمته نحت الجمال ورسم الصور من أجل بعث المتعة والسرور، وليست مهمته أن يخدم الأخلاق وأن يسخر أدبه لقيم الخير أو للمجتمع... حسبه بناء الجمل. (**قصاب، في الأدب الإسلامي، ١٤١٣، صفحة ٩٧**).

وقد كان لهذا المذهب الذي ظهر في الغرب صدى لدى بعض الشعراء والنقاد العرب من أبرزهم أدونيس الذي يقول – في معرض تعريفه للحداثة– " التوكيد المطلق على أولية التعبير، أعني به أن طريقة القول أو كيفيته أكثر أهمية من الشيء المقول، وأن شعرية القصيدة أو فنيتها في بنيتها لا في وظيفتها". (**أدونيس، ١٩٨٦، صفحة ٧١**).

وقد رد نقاد كثر على هذا المذهب في الغرب، ومنهم الاشتراكيون ومن أبرزهم سارتر الذي يرى أن الأدب يجب أن يكون أدب التزام بالدرجة الأولى، ثم إنه أدب موقف، وقد عبر عن هذا بوضوح في قوله: ليس من شك في أن العمل الأدبي إنما هو واقعة اجتماعية، فلا بد للكاتب أن يكون على اقتناع عميق برسالته، ولابد أن يكون مشبعا بروح المسؤولية تجاه عمله". (**اليعقوبي، ٢٠١١، صفحة ١١٧٣**).

وسارتر بمقولته السالفة لا يرد على المعترضين على رسالة العمل الأدبي فحسب، بل إنه يدعو إلى فكرة الالتزام الأدبي، وفي دعوته هذه يلتقي مع رؤية الأدب الإسلامي في ضرورة أن يكون للأدب مسؤولية تجاه المجتمع، والتزام الأديب لا يعني تجريده من الحرية التي يجب أن يتمتع بها المبدع والفنان، بل إن أدبه ينبع من الحرية الملتزمة بواقع الحياة التي يعيشها في إطار تجربته الشعرية، فالحرية على نقيض التحرر لا تتشكل إلا في معيار العقل المضبوط والفكر السديد، ويوم يجمح العقل ويشرد الفكر لا يتصف صاحبه بالحرية، بل بالتحرر والجنون والطيش والغرق في الأوهام (**قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٨**)، ولا نمضي بعيدا في الاستشهاد بمقولات الغربيين الرافضين لمبدأ البرناسية فالمجال لا يتسع.

والمتأمل في الاعتراضات على الأدب الإسلامي يجدها لا تتعلق بعنصر المضمون وما يحمله من التزام ومسؤولية، بل هي تنصب كذلك على المصطلح في حد ذاته، ولربما كانت سهامها على المصطلح أشد وأمضى لسلبيات رأوها، ولا نملك أن نناقشها جميعا ولكن نومئ إلى بعضها فحسب.

فمن الاعتراضات قولهم: إن المصطلح مبتدع ولم يرد عن أسلافنا من الأدباء، والحق أن الاحتجاج بعدم الورود عند القدماء هو ديدن المعترضين على الجديد في كل جيل، وما التجديد في حقيقة معناه سوى ابتداع طريقة في النظر مغايرة ومنهج في التعاطي يختلف عما ألفه الناس، ولو عكف الناس على ما ألفوه واكتفوا به وعضوا عليه بالنواجذ، لكانوا الأولى بوصف الله تعالى من الجامدين الذين يرددون إزاء كل جديد ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ٢٢**﴾ [الزخرف: ٢٢].

ونذكر المعترضين أنهم قبلوا مصطلحات مماثلة ولم نسمع لهم في رفضها ركزا، وقد وصفت "بالإسلامية"، كالفلسفة الإسلامية، والفقه الإسلامي، والاقتصاد الإسلامي والتاريخ الإسلامي والفن الإسلامي... فما الذي استجد مع مصطلح الأدب الإسلامي حتى استوجب كل هذا النكير؟ وهل فعلا هذا المصطلح جديد؟ التحقيق أن هذا المصطلح لم يبتدع في النصف الثاني من القرن العشرين، فقد كان له ولمشتقاته حضور ودوران في كتب المصادر وكتب التأريخ الأدبي، ومن منا لم يصادف أمثال هذه المركبات الوصفية: الشاعر الإسلامي أو الشعر الإسلامي أو العصر الإسلامي! ولماذا لم نسمع اعتراضا على التصنيف الذي وضعه المستشرقون للعصور الأدبية وفيه العصر الإسلامي، ويعنون به العهد المعاصر لظهور الإسلام والممتد إلى العصر الأموي، إذن فقد قبلوا المصطلح لما كان دليلا على فترة زمنية، ورفضوه لما تم إحياؤه ليستعمل في أدبنا المعاصر، وهذا يشي بأن رفض المصطلح لم يكن لأسباب علمية محضة.

ولمزيد من الإيضاح لخصوص مصطلح الأدب الإسلامي نقول بأنه تقلب في مسيرته الطويلة منذ النشأة الأولى في مراحل تطورية حددها الأستاذ حسن الأمراني – وهو من رموز الأدب الإسلامي– في مركبات إضافية أربع هي: أدب فترة – وأدب طفرة – وأدب فكرة – وأدب فطرة، فما المقصود بهذه المركبات؟

أدب الفترة يعني أن المعيار الزمني كان هو أساس التسمية، لأن الأدب الإسلامي ارتبط بظهور الإسلام، وتأثر بالقرآن والحديث، ومن ثم فالفترة تعني صدر الإسلام، وهناك من يمتد بالتسمية إلى العهد الأموي وما يليه من عصور، وهناك يصل بها إلى العصر الحاضر.

وأما كونه أدب طفرة فسمة وسم بها الأستاذ الأمراني المصطلح لتأثير الإسلام في الشعراء الذين عاصروا بداياته من مخضرمين وغيرهم كلبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت وعبد الله بن أبي رواحة... وهو أمر يخالف فيه كارل بروكلمان الذي يزعم أن تأثير الإسلام كان ضعيفا في نفوس الشعراء في صدر الإسلام، ولم يظهر تأثيره إلا في العصر العباسي، وقد ناقشه الأستاذ حسن الأمراني في هذه الفكرة، وقد تعني الطفرة أيضا تلك القفزة النوعية التي انتقل بها الأدب العربي إلى أبناء الشعوب التي دخلت فيه، فتأدبت بآدابه وأنتجت شعرا بلغاتها وفقا لمنظومة القيم الإسلامية.

أما كونه أدب فكرة فيعني أن الإسلامي تجاوز الأطر الزمانية فهو ليس أدب الماضي فحسب بل أدب الحاضر والمستقبل أيضا، وهو ليس أدب العرب وحدهم وإنما هو أدب كل الشعوب التي دانت بالإسلام بلغاتها المختلفة، وإن كانت اللغة العربية هي لغة الأدب الإسلامي الأولى.

ويعني المركب الإضافي الأخير "أدب الفطرة" أن هذا الأدب ليس إلا استجابة لنداء الفطرة السليمة الوارد في قوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...**﴾ [الروم: ٣٠].

من خلال ما تم بحثه من أفكار حول مصطلح الأدب الإسلامي نخلص إلى أن هذا المصطلح قديم حديث، قديم من حيث النشأة وحديث من حيث الدلالة والتداول، ولربما كان للحركة الإسلامية دور في دفع شراعه لانتشارها الواسع في العالمين العربي والإسلامي بل والغربي أيضا، فقد كان هذا الأدب معرفا بدعوتها ومعبرا عن تصوراتها، ومسجلا لآمالها وتطلعاتها ومترجما عن آلامها وانكساراتها، فكان المنافح عنها في معركة إثبات الذات تجاه التجهم الذي ووجهت به من قبل أعدائها بالأصالة أو بالوكالة، ولا تزال تلقى الشدائد محاولة الثبوت في وجه معاول الهدم التي تسعى لاستئصال شأفتها وإبادة خضرائها، وتغييبها من الساحة، وقد رافق الأدب كل هذا، والشعر على الأخص، فهو عند القرضاوي:

فـالشـــعر دمعي حين يعصـــرني الأســـى + والشـــعـر عـودي يـوم عـزف لُـحـونـي

(القرضاوي، د.ت، صفحة ٥٣)

وهو وسيلته إلى إظهار الحق والصدع به:

عجبـتُ لهم قـالوا تمـاديـتَ في المنى + وفي المثـل العليـا وفي المرتقى الصـــعـب

فقلـت لهم مهلا فلا اليـأس من شـــيمتي + ســـأبـذر حـبـي والـثـمـارُ عـلـى الـرّب

إذا أنـا بـلـغـتُ الـرســـالـة جـاهـدا + ولم أجـد الســـمع المجيـب فمـا ذنبي

وقفتُـك يـا شـــعري على الحقِّ وحـده + فـإن لـم أنـل إلاّه قـلـتُ لـهـم حســـبـي

وإن قـال غـرٌّ ثـروتـي قـلـت دعـوتـي + وإن قـال لـي حـزبـي أقـول لـهـم ربـي

فعش كوكبـا يـا شـــعرُ يهـدي إلى العلا + وينقضّ رجمـا للشـــيـاطين كـالشُّـــهْـب

(القرضاوي، د.ت، صفحة ٤٨)

II. خصائص الأدب الإسلامي وموضوعاته:

١. الخصائص:

ذكر المؤرخون للأدب الإسلامي جملة من الخصائص والسمات سنشير إلى بعضها ونتبعها بشرح موجز، وهذه الخصائص أنه: أدب عقدي المصدر- أدب غائي هادف- أدب ملتزم - أدب أخلاقي تهذيبي- أدب أصيل-أدب متجدد منفتح- أدب واع يقظ- أدب إنساني النزعة عالمي الخطاب...

وفيما يلي شرح لبعض هذه الخصائص:

١,١. عقدي المصدر:

تعني أنه منضبط بتصور للكون والحياة والإنسان مصدره العقيدة الإسلامية، وهذه الخاصية حاسمة في الأغراض المتناولة وفي طريقة التناول، فعقائدية المصدر تجعل الأديب يتجافى عن المواضيع التي تعكس الاضطراب الفكري والشك الوجودي والحيرة الإيديولوجية التي تلازم كثيرا من المبدعين، وعقدية المصدر تمنعه من انتهاك المقدسات والمقامات الإلهية والنبوية لفظا وإيحاء، فلا يقبل قول شوقي وهو شاعر إسلامي عندما يقول:

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم + أن تجعلوه كوجهه معبودا

أو قوله:

آمنت بالله واستثنيت جنّته + دمشق روْحٌ وجنات وريحان

أو قول الشيخ خير الدين الزركلي:

لو مثلوا لي موطنا وثنا + لهممتُ أن أعبد الوثنا

ونحن نعلم أن الشاعرين مؤمنان صادقا الإيمان ولكنه التجاوز والجبروت الشعري كما يقول الشيخ البشير الإبراهيمي هو ما دفع الشاعرين إلى ارتقاء هذا المرتقى الصعب. (**الإبراهيمي، ١٩٧٧، صفحة ٢٠٧**).

كما تمنع عقدية المصدر تمادي الأديب وإطلاق العنان لقلمه في تصوير ما يصادم الشرع من سلوكيات محرمة تخالفه، كالمشاهد المحرضة على الجنس والمزينة للفواحش من مجالس الخمر والزنا... نعم قد يلم قلمه ببعض ذلك في تبيان حالات الضعف الإنساني مع مراعاة أدب الكتابة، ولكن لا يطيل الوقوف ولا يعرضها معرض القدوة.

٢,١. أدب غائي هادف:

في الأدب الإسلامي لا يكون الأدب غاية في حد ذاته كما هو مذهب البرناسيين، وإنما يكون وسيلة، فالشاعر والروائي والقاص حين يبدعون يكون لإبداعهم معنى يستهدفون التأثير - من خلاله- في الحياة الاجتماعية من أجل إصلاح الحياة الفردية والجماعية.

١,٣. أدب ملتزم:

التزام الأديب في الأدب الإسلامي يختلف عن الالتزام الاشتراكي أو الوجودي، إنه التزام بقضايا أمته الإسلامية وقضايا وطنه، التزام لا يحد من حريته في نطاق الحق، ولكنه يحول دون تحرره التام شكلا ومضمونا وحين يخالف المبدع المنظومة الفكرية الإسلامية وما ينبثق منها من قيم سلوك.

١,٤. أخلاقي تهذيبي:

يسعى الأدب الإسلامي إلى الإعلاء من شأن القيم والفضائل، وتصويرها فنيا وتحبيب الناس فيها تزكية لنفوسهم وتهذيبا، ولما كان المستهدف بالخطاب هم عامة الشعب توخى الشعراء والناثرون السهولة واليسر دون إسفاف أو فجاجة أو جفاف أسلوب، ونستشهد لهذا العنصر بما قاله الأستاذ أحمد عمر هاشم الرئيس السابق لجامعة الأزهر في الترغيب في فضيلة العفو عن الناس:

كن قابل العذر واغفر زلة الناسِ + ولا تطع يا لبيبا أمر وسواسِ
فالله يكره جبارا يشاركه + ويكره عبدا قلبُه قاس
هلاّ تذكّرت يوما أنت مدركُهُ + يوما ستخرج فيه كلُّ أنفاس
يومَ الرحيل عن الدنيا وزينتها + يوم الوداع شديدِ البطش والباس
ويوم وضعك في القبر المخيف وقد + ردّوا التراب بأيديهم وبالفاس
ويوم مبعثنا والأرض هائجةٌ + والشمس محرقةٌ تدنو من الراس
يفرُّ كل امرئٍ من غيره فَرَقا + هل ذاكرٌ هذا اليوم أم ناسي
سيرسل الله أملاكا مُنادية + هيا تعالوا لرب مطعم كاسي
هلا تعالوا إلى فوز ومغفرة + هيا تعالوا إلى بشرٍ وإيناس
أين الذين على الرحمنِ أجرهمُ؟ + فلا يقوم سوى العافي عن الناس

(هاشم، د.ت)

١,٥. أدب منفتح متجدد:

إن التزام الأدب بمنظومة قيم لا يستلزم أن يكون منغلقا أو منكفئا على نفسه أو محدودا، بل هو نام متطور يرنو إلى التجديد ويتوخى الإبداع، ولكنه لا يسعى خلف كل ناعق بدعوى التجديد، بل يتصرف بنضج ورشاد إزاء كل ما يستجد وفق المعايير المستمدة من تصوره العقدي والتزامه الأخلاقي، فهو كما – يعبر الأديب وليد قصاب–

يرفض السكون التام الذي يعني الشلل والموت ومن جهة أخرى يرفض الحركة العمياء والقفز الأعشى فهو، أدب منفتح متطور وليس أدبا متفلتا أعمى. (**قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، ٢٠٠٠، صفحة ٣٦**).

٦,١. أدب واع يقظ:

إن وسم هذا الأدب بهذه الخاصية يعني أن رواده واعون بحقائق دينهم وبالقيم المنبثقة عنه، واعون باحتياجات أمتهم، واعون بمواطن القوة ونقاط الضعف فيها، واعون بالتحديات التي تواجه مجتمعاتهم، والكلمة عندهم مسؤولة منزهة عن العبث والغموض وتتعزز قيمة هذه الخاصية – في نظر وليد قصاب– نظرا لانبهار كثير من المبدعين بفكرة اللاوعي التي يهذي بها المذهب السريالي الذي ينكر الواقع ويجافيه، ويدعو إلى أدب عبثي لا رابط فيه من شعور أو منطق، أدب منطلق من هوس العقل الباطن ومن اللاشعور بلا رقابة أو مراجعة. (**قصاب، من قضايا الأدب الإسلامي، ٢٠٠٠، الصفحات ٤٠–٤١**).

٧,١. أدب إنساني عالمي الخطاب:

إنسانية النزعة تعني أن هذا الأدب يُعنى بالإنسان بشموله، يُعنى به ذكرا ويعنى به أنثى، و يعنى به طفلا وشابا وكهلا وشيخا، يعنى به في حالات ضعفه وانكساره وحالات زهوه وانتصاره، يرسم آماله وأحلامه ويعكس معاناته وأحزانه، وهذه طبيعة الآداب جميعا ولكن الأدب الإسلامي عالمي الخطاب لا تحده الجغرافيا ولا تحبسه اللغة ولا يتقوقع في الجنس ولا تحجمه الأعراق، أدب يمتلك تأشيرة عالمية في الزمان والمكان، أدب لا تحده الدنيا على سعتها فيرغب في الأخرى.

٢. موضوعات الأدب الإسلامي:

نظرا لشمولية الأدب الإسلامي وعالمية خطابه لا يمكن حصر موضوعاته نظريا في عدد من العناصر قلت أو كثرت، فنستطيع القول بأنه يُعنى بكل المواضيع التي تهتم بالإسلام والمسلمين بشكل خاص وتهتم بالإنسان عموما، وعليه فمساحة الإبداع الإسلامي واسعة جدا غير أنها منضبطة شكلا ومضمونا بالتصور الإسلامي، فلا تصادم المقدسات ولا تزين الفواحش، ولا تلحد في القول ولا تنحط أو تبتذل في اللفظ أو المعنى، ولا تسخر من القيم ولا تناصر الظلم...

وبسطا لهذا القول نذكر بعض الموضوعات التي درج المصنفون في نظرية الأدب الإسلامي على ذكرها، ونذكرها دون شرح توخيا للاختصار:

١– المناجاة الربانية أو ما سمي قديما الزهديات.

٢– القيم الخلقية والفضائل.

٣– السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي (المدائح النبوية الروايات المسرحيات الإسلامية...).

٤– الحضارة الإسلامية في العالم.

٥- الطبيعة والكون المنظور.

٦ - التضامن والأخوة الإسلامية.

٧- أدب الدعوة الإسلامية.

٨- الجهاد ضد المعتدين على دول الإسلام.

٩- مواجهة الاعتداء على المقدسات الإسلامية وفي مقدمتها أرض فلسطين.

١٠- مواجهة الحركات الهدامة والتحذير من الإلحاد ومن التبشير الصليبي.

١١- مواجهة البدع والفرق الضالة.

١٢- الدفاع على اللغة العربية.

١٣ محاربة التخلف الثقافي في العالمين العربي والإسلامي.

١٤- العواطف الصادقة والمشاعر النبيلة.

١٥- أحلام وآلام المواطن العربي والإسلامي.

III. سطور وأرقام في تأسيس وتجليات الأدب الإسلامي:

١. التأسيس: (إعادة الإحياء):

سبق أن ذكرنا في المقدمة أنّ الشيخ أبا الحسن النّدوي لفت النظر إلى موضوع الأدب الإسلامي في العقد الخامس من القرن العشرين بمقال أرسله إلى مجمع العلمي بدمشق (**الندوي، ١٤١٨هـ/ ١٩٧٩م، الصفحات ٢٣-٢٥**)، وما تلاه من تداعي الأدباء والمفكرين في العالم إلى إثراء الساحة الأدبية بمختلف أنواع الإبداع الفني التي يتوفرون عليها، من شعر ورواية وقصة وأقصوصة ومسرح ومقالة وخاطرة وسيرة ذاتية... وساهمت الحركة الإسلامية بمفكريها وشعرائها ومبدعيها في هذا الزخم الأدبي يبشرون فنيا بالفكرة الإسلامية ويعبرون عن تجاربهم الشعورية وانفعالاتهم الفنية بيومياتها وهمومها وأفراحها وأتراحها، ويوطدون دعائم الأخوة الإسلامية في العالم، ويواجهون أعداء الأمة الإسلامية والمناوئين للشعائر والأخلاق الإسلامية في بلاد الإسلام، ويستنهضون الهمم لنصرة المقدسات واضطهاد الأقليات... وساهمت كذلك شرائح أخرى من الفنانين والمبدعين تنتمي لاتجاهات متنوعة ومؤسسات مختلفة في العالم العربي والإسلامي، فتربى جيل على هذه الأدبيات وتكون جمهور عريض مناصر للأدب الإسلامي، ونضجت فكرة إنشاء هيئة عالمية للأدب الإسلامي ترعاه وتعممه، وهنا برز دور الشيخ أبي الحسن الندوي ثانية في الدفع إلى تأسيس هذه الهيئة العالمية، التي انشرح صدره لاقتراح بعض رواد الأدب الإسلامي الذين كلموه بشأنها، فدعا إلى ندوة عالمية للأدب الإسلامي تعقد في "ندوة العلماء" بلكنؤ بالهند يحضرها ممثلون عن الدول العربية والدول الإسلامية من المبدعين والأكاديميين، وانعقدت الندوة في أيام ١٧و١٨و١٩ من شهر في أبريل عام ١٩٨١ وخلصت الندوة إلى توصيات كثيرة نذكر ثلاثا مهمة منها:

١- دعوة الباحثين إلى إبراز مفهوم الأدب الإسلامي، والكتابة عن تاريخ الأدب العربي وفق النظرية الإسلامية.

٢- إقامة رابطة للأدب الإسلامي وإنشاء أمانة عامة لها يكون مقرها "ندوة العلماء" بلكنؤ بالهند.

٣- إعادة النظر في مناهج الدراسة لتنمية وعي الناشئ المسلم.

وإثر هذه الندوة توالت اللقاءات في المدينة المنورة ومكة المكرمة وتكونت هيئة تحضيرية دعت إلى المؤتمر التأسيسي للرابطة العالمية الأدب الإسلامي بعد انخراط جمهور كبير من الأدباء والعلماء فيها، وعقد المؤتمر الأول للرابطة في رحاب جامعة "ندوة العلماء" بالهند في عام ١٩٨٦، وتمت المصادقة على نظامها الأساسي وتم انتخاب مجلس الأمناء وانتخاب الشيخ أبي الحسن الندوي رئيسا لها، قد تضمنت المادة الثالثة من النظام الأساسي للرابطة جملة من أهدافها منها:

١- تأصيل الأدب الإسلامي وإبراز سماته في القديم والحديث.

٢- إرساء قواعد النقد في الأدب الإسلامي.

٣- صياغة نظرية متكاملة للأدب الإسلامي.

٤- وضع مناهج إسلامية للفنون الأدبية الحديثة.

٥- كتابة تاريخ الأدب الإسلامي في آداب الشعوب الإسلامية.

٦- العناية بأدب الأطفال و وضع منهج لأدب الطفل المسلم.

٧- تعزيز عالمية الأدب الإسلامي. (**نور الإسلام، ٢٠١٢**)

٢. أرقام في تجليات ثمار الأدب الإسلامي:

لقد نجح الأدب الإسلامي في التألق والحضور على الساحة الأدبية في العالم بفضل الأعمال الأدبية التي أنتجها مبدعوه من مختلف الفنون الأدبية، مما دعا رابطة الأدب إلى التوصية بوضع دليل لمكتبة الأدب الإسلامي، فانبرى الأستاذ عبد الباسط بدر إلى وضع دليل صدر جزؤه الأول سنة ٢٠٠٥، وقد اقتصر على الأعمال والدراسات والمقالات المكتوبة باللغة العربية فقط.

وإن قراءة هذا الدليل لتهدي الدارس المتأمل إلى وفرة الإنتاج الأدبي وتنوعه، كما تثبت رسوخ قدم الأدب الإسلامي في جدارية الأدب العربي المعاصر وهذه بعض الأرقام الدالة:

أحصى الكاتب من الدواوين المطبوعة ١٩٧ ديوانا شعريا ومن القصص المنتسبة لهذا الأدب ١٢٤ قصة ورواية، وسبع مختارات شعرية، و٤٧ مسرحية، ٩٠ دراسة نقدية من وجهة نظر إسلامية، و٧٤٦ مقالا علميا، وعشر كتب في الرحلات (**بدر، ٢٠٠٥، صفحة ٢٠١**).

وملاحظتنا على هذا الدليل أنه مجهود كبير إلا أنه لم يستوعب كل ما كتب من مختلف فنون الأدب، فمثلا لم يذكر من دواوين الأديب المغربي حسن الأمراني سوى خمسة دواوين والشاعر صدر له عشرون ديوانا، وصدر للشاعر عبد الرحمن العشماوي ٢٣ ديوانا ولم يذكر في الدليل سوى تسعة دواوين، وكذلك الشاعر يوسف العظم أثبت له الدليل أربعة دواوين وقد صدر للشاعر أكثر من تسعة، وهذه مجرد عينة بسيطة ولعل الكاتب يستدرك ذلك في قادم الأيام.

وقد صدر دليل ثان للأدب الإسلامي خاص بإبداعات الأدباء المغاربة، أصدره الأستاذ الحسين زروق ولم يتسن لنا الاطلاع عليه صدر عام ٢٠٠٧.

وقد أنتج الأدب الإسلامي كل أنواع المصنفات، من الأعمال الفنية الإبداعية، إلى المجلات إلى المعاجم إلى الدراسات الأكاديمية التي تخصصت في النقد الإسلامي وصياغة نظرية الأدب الإسلامي.

فمن المجلات:

- مجلة "الأدب الإسلامي وتصدر" عن مكتب رابطة الأدب الإسلامي في البلاد العربية.
- مجلة "المشكاة" وتصدر عن مكتب الرابطة بالمغرب الأقصى.
- مجلة "قافلة الأدب" الأدبية الناطقة بالأوردية.
- مجلة "قافلة الأدب" تصدر بالعربية والأوردية تصدر بباكستان.
- مجلة "الحق بالبنغالية" تصدر في بنغلاديش.
- مجلة "الأدب الإسلامي" بالتركية تصدر بتركيا.

ومن المعاجم:

١- معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، أحمد الجدع الأردن.

٢- معجم مصطلحات الأدب الإسلامي محمد بنعزوز.

خاتمة:

يمكن أن نسجل في نهاية المقال بأن مصطلح الأدب الإسلامي له ما يبرره تاريخيا لوروده في كتب الأدب ومدوناته، وله ما يبرره منطقيا فكثير من المركبات الوصفية مثله قبلت وتم التّعامل معها بمرونة كالفلسفة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي والفن الإسلامي والتاريخ الإسلامي ولم يطرح استعمال هذه المصطلحات مشكلة في الثقافة العربية، وله ما يميزه من حيث الخصائص فهو أدب عقدي المصدر رباني الوجهة غائي الوجهة والهدف، وهو أدب ملتزم بمنظومة القيم الإسلامية وبدستور الإسلام الأخلاقي وله ما يميزه موضوعاتيا من حيث اشتماله على أغراض

قديمة وإنشاء أغراض جديدة كانت حصيلة التفاعل الحركي الذي يستهدف استئناف النظام الإسلامي في مختلف المؤسسات بما في ذلك نظام الحكم، وما نتج عنه من آمال وآلام ومن هذه الأغراض أدب الدعوة الإسلامية، والتحذير من الحركات الهدامة كالصهيونية والتبشير والشيوعية وغيرها من الحركات المنحرفة، والجهاد ضد المحتلين المعتدين عن الوطن الإسلامي الكبير، وذكر آمال وأحلام وآلام المواطن العربي وأهازيج وأناشيد الدعوة ...

وكان مسك الختام دراسة شبه إحصائية كمية لنتاج هذا الأدب باللّغة العربية.

قائمة المصادر والمراجع:

١) أبو الحسن الندوي. (١٤١٨هـ/ ١٩٧٩م). نظرات في الأدب (الإصدار ط٢). عمان، الأردن: دار البشير للنشر والتوزيع.

٢) أحمد عمر هاشم. (د.ت). موقع شعر أحمد عمر هاشم. تاريخ الاسترداد: ٢٠٢١/٠١/١٤، من abdwap.art/song

٣) أدونيس. (١٩٨٦). زمن الشعر (الإصدار ٥). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤) سيد قطب. (١٩٨٣). في التاريخ فكرة ومنهاج (الإصدار (د.ط)). بيروت والقاهرة، لبنان ومصر: دار الشروق.

٥) سيد قطب. (١٩٨٣). كتب وشخصيات (الإصدار ٣). بيروت والقاهرة، لبنان ومصر: دار الشروق.

٦) عبد الباسط بدر. (٢٠٠٥). دليل مكتبة الأدب الإسلامي (الإصدار ١). الرياض، السعودية: دار العبيكان.

٧) علي علي صبح، و عبد العزيز شرف عبد المنعم خفاجي. (١٩٩٢). الأدب الإسلامي المفهوم والقضية (الإصدار ١). بيروت، لبنان: دار الجيل.

٨) علي يوسف اليعقوبي. (يونيو، ٢٠١١). مصطلح الأدب الإسلامي في النقد الحديث بين القبول والرفض. مجلة الجامعة الإسلامية، ١٩(٠٢)، صفحة ١١٧٣.

٩) محمد البشير الإبراهيمي. (١٩٧٧). آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (الإصدار ١، المجلد ٥). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

١٠) محمد نور الإسلام. (٢٠١٢/١١/٢٧). الأدب الإسلامي تعريفه ونشأته وخصائصه. تاريخ الاسترداد: ٢٠٢٣/٠٤/٢٦، الساعة ٢٣:٤٨. من الألوكة: aluka.net/Literature- Language/٠/٤٧٠٥٨

١١) نجيب الكيلاني. (١٤٠٧). مدخل إلى الأدب الإسلامي (الإصدار ط١). قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

١٢) وليد قصاب. (١٤١٣). في الأدب الإسلامي (الإصدار ١). دبي، الإمارات: دار القلم.

١٣) وليد قصاب. (٢٠٠٠). من قضايا الأدب الإسلامي (الإصدار ١). دمشق، سوريا: دار الفكر.

١٤) يوسف القرضاوي. (د.ت). روائع أشعار القرضاوي (الإصدار (د.ط)). قسنطينة، الجزائر: دار اليمن للنشر والتوزيع والإعلام.